البنيات الأسلوبية في الشعر الشعبي الجزائري / قراءة في ديوان "أحمد بن التريكي"

Reading in the poetry / Stylistic structures in Algerian popular poetry of "Ahmed Ben Triki"

المؤلف: سوسن ابرادشة

جامعة الجزائر 02/ أبو القاسم سعد الله[1]

salasilobrad@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2019/04/09 تاريخ القبول: 2019/05/05 تاريخ النشر: 2019/06/30

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن الجماليات الفنية والأسلوبية واللغوية التي يتميّز بها الشعر الشعبي الجزائري، والتي راح الشعراء من خلالها يكشفون عن إمكانياتهم في خلق بنية لفظية شعرية شعبية متناسقة، كما أردنا الغوص أكثر في عوالم الشعر الشعبي الجزائري لمعرفة مدى عمق هذه التجربة الفنية الفريدة، وتحديد جمالياتها الأسلوبية والموضوعاتية، من خلال العودة إلى أشعار الشاعر الشعبي الجزائري: "أحمد بن التريكي"، والذي اتخذناه كأنموذج للدراسة.

وقد اتبعنا في كل هذا المنهج الأسلوبي والتحليلي، لدراسة مستويات اللغة الشعرية التي تمّ توظيفها من قبل الشاعر، والذي لا يختلف البتّة عن غيره من نظراءه من الشعراء الشعبيين، الذين كتبوا عواطفهم وترجموا أحاسيسهم فكانوا مرآة عاكسة لشعوبهم ومجتمعاتهم.

كلمات مفتاحية: الشعر الشعبي، الأسلوبية، أحمد بن التريكي، اللغة، البنيات

Abstract:

The aim of this study is to reveal the aesthetic, stylistic and linguistic aesthetics that characterize the Algerian popular poetry, in which poets reveal their potential to create a coherent poetic structure. We also wanted to explore the depths of this unique artistic experience, And the identification of aesthetics stylistic and thematic, through the return to the poetry of the Algerian popular poet: "Ahmed Ben Triki," which we took as a model for study.

We have followed this methodological and analytical approach to study the levels of poetic language employed by the poet, who is no different from other popular poets who wrote their emotions and translated their feelings and were reflective of their peoples and communities

***Keywords**: Popular poetry, stylistic, Ahmed Ben Triki, language, structures*

[1] - المؤلف المرسل: محمد الأمين مصدق ، الإيميل: manogoodman@gmail.com

***Résumé**:*

Le but de cette étude est de révéler l'esthétique esthétique, stylistique et linguistique qui caractérise la poésie populaire algérienne, à travers laquelle les poètes révèlent leur potentiel pour créer une structure cohérente de poésie populaire, Nous voulions aller plus loin dans le monde de la poésie populaire algérienne pour voir la profondeur de cette expérience artistique unique et définir son esthétique stylistique et thématique en revenant à la poésie du poète populaire algérien Ahmed Ben Treki, que nous avons prise comme modèle d'étude.

Nous avons suivi cette approche méthodologique et analytique pour étudier les niveaux de langage poétique employés par le poète, qui n'est pas diffĕrent des autres poètes populaires qui ont écrit leurs émotions, traduit leurs sentiments et reflétaient leurs peuples et leurs communautés.

***Mots-clés**: Poésie populaire, stylistique, Ahmed Ben Triki, langage, structures.*

مقدمة:

كثيرة هي الأقاويل التي حكيت ماهية الأدب الشعبي في أوساط المثقفين ولاسيّما الرسميين منهم، فلقد قيل عنه بأنّه أدبٌ هابطٌ، فَجردُّوه من كل قيّمه الفنية الحقيقية بل واعتبروه مجرد حكايات عجائز وأدب عوام، فكان بذلك عقبة في سبيل استمرار الفكر وتطور البشرية؛ نظرة الاستعلاء هذه جعلت الدارسين ولاسيّما المهتمين بالدراسات الشعبية، يروون فيها قصورا فكريا وضيقا لأنّ الأدب الشعبي في نظرهم هو جوهر الإبداع بل وانعكاس للحياة الإنسانية، ولا يمكن بأي حال من الأحوال حسب هؤلاء الدارسين أن نتصور إبداعا أدبيا إنسانيا خالصا دون الأدب الشعبي، ذلك أنّه في داخل كل واحد منّا إنسان مبدع نائم يلجأ في كثير من الأحوال إلى الخيال والحكاية والخرافة، والتي تعتبر منابع وأصول الأدب الشعبي وكثيرا ما يتبادر إلى الذهن سؤال حول ماهية الأدب الشعبي، وكيف بإمكاننا أن نميزّه عن غيره من الآداب الأخرى.

ولما كان الأدب الشعبي والشعر الشعبي خاصة الأقرب إلى وجدان الشعب وأحاسيسه وهواجسه، فلقد كان الشعراء ولا يزالون يتغنون لحد الآن بذلك الجانب الروحي الخفي الذي تأبى الأعراف والتقاليد والعادات إظهاره للغير، كما كان للشاعر الشعبي على غرار شاعر الفصيح اللجوء إلى الكتابة لأنّها ملاذه الآمن ومتنفسه الوحيد، ليعبر من خلالها عن خلّجات النفس ولواعج الروح.

وبالرغم من أنّ الشعر الشعبي في الجزائر لا يزال مفقودا بعض الشيء، وما تزال الكثير من الدواوين مفقودة وضائعة مجهولة المؤلف والأصل عديمة النسب لشاعر معين أو لمنطقة معينة، إلا أنّه يمكن أن نجد بين الفترة والأخرى بعض الدواوين والمؤلفات التي سجّلت روائع الشعر الشعبي، ومن بين الدراسات والبحوث التّي جمعت بعضا من أشعار الشعر الملحون، نجد ديوان الشاعر الشعبي الجزائري "أحمد بن التريكي" الملقب "بن الزنقلي التلمساني" الذي قام بجمعه وتحقيقه عبد الحق زريوح.

1- التعريف بالشاعر:

أحمد بن التريكي التلمساني واحد من حفظة القرآن الكريم، كان الشاعر مشهورا برقة قلبه وأدبه الرفيع، "لقب بـ: "بن الزنقلي"، ويقال لأنّ أباه كان موصوفا بالخشونة والشدة والعنف، وهناك رأي آخر يقول لأن والده كان غنيا فعرف بالزنقلي أي ابن غني"[1]

ولد في أواسط القرن 11م وتوفي في أوائل القرن 12م، كان بن الزنقلي شاعريا وحساسا ويذكر أن سبب هذا يرجع إلى ذهابه إلى أحد الأضرحة لزيارة أخ له كان وكيلا بذلك الضريح، فرأى جماعة من النسوة خرجن من زيارة الولي متزينات بأفخر الثياب وأجملها، فهام من حسنهن وجمالهن وقام يخاطب أخاه بالشعر، قائلا:

"فق يا نايم واستيقظ من المنام واسغى لحديثي يا خاي و افهم"[2]

فقد كانت بدايته غزلية و كل ما قاله بعد ذلك كان في الغزل إلى أن نفي من الجزائر سنة 1083م، فغادر إلى جبل بني زناتن ومكث هناك أياما نظم هناك قصائد كثيرة يصف فيها حاله بعد الهجر والبعد والفراق.

وقد تأثر بن الزنقلي كثيرا بشيخه المنداسي وظهر ذلك جليا في أشعاره، إذ يقول في أحد القصائد معترفا له بالفضل:

"أنا وجميع الشيوخ طايعين للمنداسي كيفاش نواسي"[3]

ومن الشعراء الذين عاصروه نجد الشاعر الشعبي الجزائري "بن مسايب" الذي قال عنه:

"ابن التريكي يملكه جن عظيم ولكن ذلك الجن أساء اختيار محل سكناه"، وعن شعره يقول: "عسل بن التريكي في غاية الحلاوة ومن سوء الحظ أنّه موجود في قربة مطلية بالقطران"[4]، وكان ذلك بسبب التنافس الفني الموجود بين الشاعرين.

أشار "عبد الحق زريوح" وهو جامع ومحقق ديوان: "أحمد بن التريكي"، إلى أنّ "الداعي في نشر هذا العمل يعود إلى أهمية وفضل الشعر الشعبي أو النظم الملحون على الأدب الشعبي بصفة عامة، ولما ترويه هذه القصائد من أخبار وأحداث الماضي التي دونت وحفظت على شكل مقطوعات غنائية، ولها كل الفضل في تدوين التاريخ وحفظه » [5]

إن المتصفح لقصائد الشاعر "أحمد بن التريكي" يلاحظ ذلك الحظ الأوفر الذي أخذه شعر الغزل في قصائده، ليدغدغ الجانب الروحي ويستنطق المشاعر الإنسانية في قصائد تفيض بالحكمة، البلاغة، الحرقة والأسى، ولقد شغل الحديث عن المرأة في شعره حيزا كبيرا حتى أننا إذا أردنا أن نضع له حدودا وجدناه يعادل في حجمه وكثرته كل الأشعار التي قالها هذا الشاعر في الموضوعات الأخرى كالمدح والهجاء والرثاء والوصف وغيرها.

ولتحليل قصائده وكشف جمالياتها الأسلوبية وبنياتها الموضوعاتية، وجب علينا أن ندرس مستويات محددة تتمثل في: اللغة، الصورة، الخيال، العاطفة، الموسيقى، وفقَ ما تقتضيه الدراسة الأسلوبية للقصيدة الشعبية من آليات وتقنيات منهجية.

2- المستوى التركيبي / جماليات البنيات اللغوية النحوية والصرفية:

لقد سعى الشاعر الشعبي منذ أمدٍ بعيدٍ إلى تحديد اللغة التي يستخدمها في قصائده وأشعاره، فكانت لغته مزيجًا من اللغة اليومية المشتركة واللغة الأدبية الرفيعة، لكنّه آثر استعمال لغة وسطى ليست منقحة كل التنقيح كما أنها لا تنزل إلى العامية ولا تكون غريبة.

وبالعودة إلى شاعرنا "أحمد بن التريكي" فما يلاحظ أنَّ "أشعاره تمتاز بلغة معينة من الصعب في كثير من الأحيان تحليلها أو حتى تصنيفها، ولا نبالغ إن قلنا بأن أشعار "بن التريكي" قد اقتربت بعض الشيء إلى الفصيح أكثر منها إلى العامي، معتمدا في ذلك على مبدأ سهولة الإنشاء"[6]

وحتى لا نطيل الحديث عن صعوبة تحديد صنف هذه اللغة فإننا نرى أن مهمة الشاعر في إيصال أفكاره إلى عامة الشعب تضطره إلى تبسيط اللغة وتيسيرها حتى يفهمها العام والخاص، كما أن هذا التبسيط يُدخلُ على الكلمة حين توظيفها شعبيا جملة من التغيرات على مستوى النطق والرسم وقواعد النحو والصرف.

فهل الأمر كذلك نجده في أشعار "أحمد بن التريكي" وما هي الخصائص اللغوية التي ميزّت أشعاره الشعبية؟ وهل وافقت البنية اللغوية لقصائده الشعبية قواعد النحو والصرف المعتادة والمعروفة؟

2- 1 – الحروف :

لقد سجلنا على كثير من القصائد الشعبية وعلى قصائد "بن التريكي" أيضا جملة من التغييرات المختلفة على كثير من الحروف، أهمها:

الهمزة:

1. تضاف زيادةً في أول الكلمة، كقوله: "أغريب وصرت أنخيل" بدل "غريب وصرت نخيل".
2. إنابتها عن الياء في أول المضارع، كقوله: "لو صبت أنزور" بدل "لو صبت نزور"، "من ذاك الحسن أيبان" بدل "من ذاك الحسن يبان".
3. زيادتها في أوائل بعض حروف الجر، كقوله: "صلى الله أعلى الهادي" بدل "صلى الله على الهادي".
4. حذفها من بعض حروف الجر في حالات أخرى، كقوله: "أعزم ليا" بدل " أعزم إليا".
5. حذفها في بعض آخر الأفعال الماضية، كقوله:"جا المرسول" بدل "جاء المرسول"
6. زيادتها في أول الماضي، كقوله: "أسكني ديما" بدل "سكنني ديما"، "أحسبتي المغروم" بدل "حسبتني المغروم"

التاء:

1. حذفها من الاسم الموصول، كقوله: اللي بدل التي.
2. استخدامها في مكان ضمير الغائب المتصل بالاسم، كقوله: "ضوى ليلي حين كنت في رفاقتو"بدل "رفاقه"

الكاف:

1. استخدامها متصلة في أول الكلمة لتحل محل "عند" أو "حين"، كقوله: "كنتفكرها قلبي يتألم"بدل "حين نتفكرها...."
2. استخدامها بدل "لما" أداة جزم للفعل المضارع، كقوله:"كجيت نخمم" بدل "لما جئت نخمم"

اللام:

1. استخدامها في مكان حرف الذال في الاسم الموصول، كقوله:"واللي مثلي راه يستنى فالرد" بدل "والذي مثلي...."

الميم:

1. استخدامها في صيغة النفي مكان لا الناهية والنافية كقوله:"مجبرت حبيب ليه نشكي" بدل" لا جبرت..."

النون:

1. حذفها من "بين" الظرفية حينما تتصل بها نون المتكلم، كقوله:"ما بينا ما هو معلوم" بدل "ما بيننا..."

الهاء:

1. زيادتها في آخر بعض الأسماء، كقوله: "يا يمه طال عذابي" بدل " يا أمي..."
2. استخدامها للنداء مكان حرف النداء، كقوله:"ها حبابي..." بدل "يا حبابي..."
3. عدم إثباتها في اسم الإشارة، كقوله: "هذو عوام..." بدل "هذه عوام..."

الواو:

1. نجدها زائدة في آخر بعض الكلمات والحروف، كما في قوله: "شعاعها يوترو" بدل "شعاعها يوتره"، "يصارحو.." بدل "يصارحه..."
2. زيادتها في بعض آخر الأسماء المجرورة: "على غيابو.." بدل "على غيابه.."

الياء:

1. زيادته في الجار والمجرور: "وأنا بيه مغروم" بدل "وأنا به مغروم"

هذه بعض من الخصائص التي خصّت استخدام الحروف عند الشاعر زيادة أو حذفا أو نقصانا، وهي حالات غيرت كثيرا من صورة الكلمة الفصيحة رسما ونحوا وصرفا مما غيَّر في وظيفتها اللغوية.

2 -2 - القواعد والمستوى العام:

من الطبيعي جدًا أن نجد اختفاء القواعد النحوية في شعر "بن التريكي"، مادام الاتفاق منذ البدء على أنَّ الشعر الشعبي خارج عن نطاق القواعد النحوية والصرفية للغة، ومادام هذا الأخير يكتب بلغة شعبية مزّجت بين العامي والفصيح، فإنّه لا داعي للبحث عن قواعد وأسس لا وجود لها، ذلك أنَّ أساس الفصل بين الشعر الرسمي والشعبي يتمثل في مراعاة هذه القواعد بالنسبة للشعر الرسمي الفصيح وعدم احترامها من قبل الشعر الشعبي، وعليه فإننا نسجل جملة من الخصائص والسمات التي اتصف بها شعر"أحمد بن التريكي"، ونذكر:

1. ظهور التسكين في أواخر الكلمات في الغالب مما أضاع الحركات الإعرابية.
2. زيادة في حرف الشين في معظم الكلمات المنفية، كقوله: "فراقك منصبرش" بدل "فراقك منصبر"، "مجاش لغالي" بدل "مجا لغالي".
3. تسكين آخر المبتدأ والخبر، كقوله:"يومْ الخميسْ" بدل "يومُ الخميسُ".
4. تسكين الماضي والمضارع، كقوله: "نطلب" بدل "أطلب"، "يحرمْ عن عيني" بدل "يحرمُ عن عيني ".
5. الخلط بين المفرد والمثنى والجمع في الأفعال: "خفت نلقاك" بدل "خفت ألقاك".
6. استخدام كلمات غريبة عن اللغة العربية مكان كلمات أخرى، كقوله: "راه قلبي" بدل "إنه قلبي"، "واش نعمل" بدل "ماذا أعمل"، "هنا ولهيه" بدل "هنا وهناك".
7. اختزال واختصار بعض الكلمات والحروف، كقول الشاعر: "العاشق معليهش حساب" بدل " العاشق ليس له حساب".

8. استخدام الشاعر للأسلوب الفصيح في كثير من القصائد، كما في قوله: " قالت عيني محال وصف هذا الغزال"، وقوله أيضا:

" نبكي حتى طاب جفني

الدمع من العيون سائل كالطوفان" وهو شطر يكاد يقترب من الفصيح.

كما نلاحظ بأنَّ الشاعر استخدم ثلاث مستويات من اللغة: فصيحة، عامية ودخيلة بعض الشيء.

3 – المستوى البلاغي المعجمي / الجماليات الأسلوبية والبنيات التعبيرية:

3 ـ 1 ـ دراسة الصورة:

تظل مشاعر الشاعر مبهمة ما لم يجسدها في صورة فنية هي ضرورية لشاعر يريد أن يرتقي لسلم المجد، " كما أنّها تعتبر حقلا خصبا للإبداع الفني"[7]. وإذا أردنا أن نتجول في حقول شاعرنا "بن التريكي" لندرس الصورة الفنية في أشعاره فإنّنا لا نستطيع ذلك بعيدا عن الخيال والعاطفة والأسلوب الذي سيكون محل دراسة مغرية في أي بحث.

إننا حين نتأمل نصوص وقصائد"بن التريكي" نراها في أغلبها لا تخرج عن تلك الصورة العربية الأصيلة التقليدية والتي اعتمد فيها على التشبيه، الاستعارة، الكناية، فالشاعر كما سبق القول يفكر بالصورة لأنها لغته التلقائية العفوية في كيفية التعبير، ومن خلالها فقط أراد **"بن التريكي"** أن نتأمل أشياء أخرى من وراء قصائده، وهو ما يسميه النقاد بالصورة، فمثلا في قصيدة "يااللايم لاش تلوم" يقول:

"كي مثل المهبول راني عدت انحيل نار غرامك شاعلة فيا مجمر"[8]

حيث شبه نفسه بالمجنون الذي فقد صوابه من فرط الحب، ثم شبه الحب بنار حامية تحرق جمراتها فؤاد الشاعر العاشق، فالشاعر أراد أن يرسم صورة وجدانية له قد يثير بها شفقة هذه المرأة التي توسل إليها فيما بعد بنداء صارخ واضح، يقول فيه:

" عار عليك ياللي تركتني عليل وأنت فيدك باش تطفي هاذ لجمر" [9]

اعتمد الشاعر بن التريكي على وسائل بلاغية هي ركائز الصورة الشعرية في تراثنا النقدي القديم، والتي تتمثل في: "التشبيه؛ الاستعارة؛ الكناية"، وهي جميعها ليست من التعقيد في شيء، وهو الأمر الذي جعله يلجأ إليها في كثير من الأحيان، وأحيانا أخرى كان يلجأ إلى الأدوات الجاهزة كأدوات النداء وفعل الأمر والسرد الواضح، على أنَّ هذا لا ينفي وجود أساليب ممتازة تضاهي النماذج الشعرية السابقة، حتى أمكننا القول أنها تضاهي النماذج الشعرية الفصيحة، ومن هذه النماذج قول الشاعر:

" ملكني سلطان على القلب تأمر طايع ليها اوامر وما نعصيها "[10]

حيث شبه المرأة بالسلطان الذي تأمر بحكمه وسلطته على قلب الشاعر المسكين الذي لا يستطيع أن يعصي أوامره أبدا، فكان لهذا التشبيه البليغ أثره الكبير في نفسية الشاعر الذي نقل لنا هذه المعاناة في صورة شعرية، أطراف الإبداع والتشبيه فيها هي الحاكم والمحكوم.

كما أتقن الشاعر إلى حد كبير إبراز صور إيحائية اعتمد فيها على أسلوب الكناية، يقول الشاعر:

"عنها طاح الغيم وسحاب مدربي" [11]

فهي كناية عن حزنه الشديد الذي رضخ له السحاب والغيوم، واشتدَّ ظلام عمره، وعوض أن نرى ذلك في أسلوب تقريري مباشر، وجدنا شاعرنا "بن التريكي" يرسم لنا صورة شعرية رائعة؛ إذ لا يعقل أبدا أن تسقط الغيوم والسحب على شكلها، وإنّما في شكل

أمطار وسيول، ولكن ذلك حدث في مخيلة الشاعر، الذي استطاع بواسطتها أن يثير شفقتنا وحسرتنا عليه، وهي مهمة الشاعر وغايته في مثل هذه الصور الشعرية الفنية والبلاغية.

الشاعر" أحمد بن التريكي" استطاع حقا أن يحول الأفكار إلى تجارب شعرية بتوظيفه لأدوات فنية، وعلى رأسها هاته الصور التي تنمو بين أزقة القصيد، وشوارع النص، لتشكل بيوتا زادت في جمال ورونق الحقل الشعري عنده.

ويستحضر الغائب من خلال الكلمة والصورة والعاطفة والخيال، ومرة أخرى يقول في قصيدته "شعلت نيران اكبادي":

" عجل لي بالملقى اتريح من ذا الشقا

شعلت نار الفرقة وطال بي الحريق

قلبي صار في ضيقة ودمعتي دافقة

نواح بلا شفقة فريد مالي رفيق

من كيسانو ننسقى وعلى الجمر نلتقى

خفت اناي نبقى نحيل فاني رقيق"[12]

فالشاعر يصر دائما على رؤية حبيبه، في صورة شعرية أنيقة وفي صورة أخرى أراد من خلالها أن يبين لنا أنه وحده المغرم ووحده التعيس، وهو ما يزيد من عذاب هذا الحب، بل وحتى إذا غصنا في عمق القصيدة نجد صورة أخرى تضم في ثناياها صورا أخرى هي عبارة عن حكاية سفر، فيها التشويق والترغيب والترهيب، وقد وظف فيها الشاعر كل محاسن الكلم، إنّه يجرنا كقراء، ويجبرنا على الدخول إلى عالمه الشعري الذي يفيض بالجلال، وهو يعانق حلما، ويغازل طيفا بعيد المنال، فهو يعيش حالة حب جنوني، جعلته يهتم بتجسيدها في منامه، وهو ما خلق الرغبة لدينا كقراء في معرفة تفاصيل هذه القصة الشعرية التي تحولت لنا حلما نتمنى أن يتحقق ويلتقي بحبيبته التي جعلت دموعه الحارة تجري، تاركة أثرها على الخدود.

إذا ما أردنا أن نتجاوز هذه الصور التقليدية البلاغية وذلك في قصيدته "قلبي بالحب"، بحيث يحضر التوسل والنداء والتمني والرمز، وكثير من الأساليب التي جملت نصوص الشاعر، فهو ينادي حبيبته "موني" قائلا :

" عقلي مضرور من هواها حالي يغني عني سآلي يا عشاق

تايهه مطوله جفاها عني ذا الغزال مكحل الارماق

الله احسيب من غواها حتى نفرت او صار قلبي فتعلاق

هيهات القلب ما نساها من فرقتها راه دمعي في تدفاق

نبكي حتى طاب جفني الدمع من العيون سايل كالطوفان

تقبيل خدها اليمنى استنشق خاطري من عطرها غصن البان

ابطا عني خيال موني

نبكي ما دمت حي نبكي عن من خلاتني هميم ولالي روح

من سلت سيفها السبكي عزمت لي بالكفاح تبغي قتل الارواح

ما جبرت حبيب ليه نشكي يعذرني يا اهل الهوى قلبي مجروح

افنى صبري ورق سلكي كخيط العنكبوت باقي مطروح

ابطا عني خيال موني

ما يفجي الهم غير موني إذا نذكر اوصافها زادت الاحزان

نشكرها شفات عيني فاتت بزينها حرايم كل زمان

ابطا عني خيال موني "[13]

وتدنو القصيدة من نهايتها، ولا يزال الشاعر يستعذب آلام هذا الحب، وهو في صورة المقاوم الذي ينتظر دوما عودة المحب ورضاه، غير أن الشاعر يعود في آخر القصيد محملا بأكوام من الخيبة والمرارة والأسى، فيقول:

" اغفر لي ما يكون مني واعف عني يا إله مولى الغفران

ابطا عني خيال موني عقلي مخطوف من اهوى تاج الغزلان

بطا عني خيال موني"[14]

3 – 2 – دراسة الخيال:

حينما تتحول مشاعر الشاعر وأحاسيسه وانفعالاته إلى صور شعرية كالتي رأيناها سابقا، والتي أثّرت فينا بأطيافها وألوانها، وشدّتنا إليها، بل وأجبرتنا في كثير من الأحيان على الاستجابة لعواطف الشاعر التي كانت تتأرجح بين البكاء والصبر والمدح والثناء والترجي، كل هذا إنّما كان بفعل ملكة سحرية تسمى الخيال تكسر الحاجز العصي على العقل والمادة.

خيال الشاعر إذن، هو الذي يفرض نفسه وسلطته الفنية الجبارة على هذه الأطياف والألوان، ليكون فيما بعد معول بناء حقيقي للصورة، بل ومصدرها الحقيقي، فالصورة سليلة الخيال، ووحده الخيال يفتح باب الإبداع الفني، والوصول إلى الحقيقة" [15] وإذا كانت الصورة رسم قوامه الكلمات المشحونة بالأحاسيس والعاطفة، فإنها لا تحلق في الأجواء النفسية إلا بجناحي الخيال الذي يملك قدرة سحرية عجيبة في التأليف بين المتناقضات، فتبدو في شكل جميل، يعمق شعورنا بالجمال والحياة. " [16]

خيال الشاعر"أحمد بن التريكي" كان مرآة عاكسة لجملة من الصور الشعرية، التي أراد أن يوصلها إلينا في شكل قصائد شعرية، خرجت أحيانا انفعالا عن حدود الواقع، فقوله:

" طال نحبي ودموعي كل يوم زراب والفراق كواني كية بلا سباب

من اسمو مو سيب لي فالدليل مشهاب ما جبرت لضري حكمه ولا طبيب

شاب راسي يا ربي من فراق لحباب لله واجمع شملي يا المرتقب

هذا الفراق يا سايلني مضاني وابقات دمعتي عن خدي طوفان

والوحش كل يوم بقوي نيراني يهيج البكا مع لليل ويجدد لحزان

باطل بغير سبة ودرت زمان هايم ذليل نتجلى فلوطان" [17]

فالشاعر حينما يأتيه الليل، تضطرم في أحشائه نيران الجوى، وهي كناية عن شدة ألم هذا الحب، وما تركه البعاد في نفسه من أثر.

إننا حينما نقرأ قصائد الشاعر الشعبي الجزائري " أحمد بن التريكي" ونبحث عن المرأة، نجده دائما يطارد هذا الطّيف الذي يكاد أن يتحول إلى حلم بعيد، فتراه يرفرف كالطائر، ويعدو كالغزال، ويصطبر كالجمل، ويأمل ويتمنى كالإنسان، مبتعدا في ذلك

كثيرا عن أرض الواقع، لذلك لم نجد للمرأة حضورا يعكس الواقع والحقيقية، فهي في نظره دائما الحلم والطيف واللا منتهى، يقول الشاعر:

" خفت نموت حبها كاوي قلبي و مانشوف وجه بغيتو نفرح بيه

نتوسلك يا ربي بجاه مكة والنبي لاقيني بلي القلب يهاتي بيه" [18]

وكأنه بذلك يريد أن يقول لنا بأن لقاءها مستحيل، لذا راح يتوسل ربه أنْ يلاقيه، ولو أنّ الشاعر لجأ إلى خيال خلاق لأخرج من هذا الحب الصامت صورا تفيض بالحياة، لأن الخيال البارع الذي يحول المحسوس إلى معنى، والجماد إلى مدرك وجداني، تهتز له النفس، فترى المحسوس المجسم، وقد تحول إلى فكرة متوهجة جاثمة، تنعم بجمالها الفني وقوتها المعنوية.

وإضافة إلى ما سبق ذكره، فإن أهمية الخيال وضرورته، تزداد حينما نعرف بأنّ بقية عناصر العملية الشعرية من صورة وعاطفة ولغة لا يمكنها أن تشتغل بدونه، فهو المنطلق الأقوى لهذه العناصر إنه للعاطفة موقظ، وللتفكير باعث وموجه، وللأسلوب غذاء، وهو أيضا للشاعر عون من أقوى أعوان الإلهام كلها" [19]

3 ـ 3 ـ دراسة العاطفة:

الشعر عالم رحب، لا يلتزم بالحدود والأبعاد، إنه عالم التخطي والتجاوز يفيض دوما بالخيال والعاطفة والجمال والموسيقى والبهاء، إنه عالم التجلّي والإبحار، وامتطاء المغامرات وسبر الأغوار، فالشاعر بإمكانه أنْ يحول الأفكار إلى تجارب شعرية، يسكب فيها مرارته ولوعته، فتبدو عبقريته في نظم الكلمات بأسلوب بارع، يوقظ العاطفة ويحيي الوجدان ويدغدغ الجانب الروحي" [20]

لقد استطاع الشاعر" بن التريكي "حقا أنْ يُحرك وجدان المتلقّي ويوقع به الألم والأمل والرغبة في الانصهار معه، فحينما نقرأ قوله:

" ياقلبي لثنين انا وياك ايتام غير نصبر فيك و نداري بالقول

ما تنصحني هزيت من الصبر اكوام مادبّر علي ما تقولي واش المعمول

ساهر ليلي ما تشوف عيني لمنام و بلا كيسان لمدام انا مسطول

نمشي وحدي ما نرد لحد سلام غاب رجايا و حيلتي واش المعمول " [21]

فكلام الشاعر تتقاطر منه عاطفة الحرقة والأسى التي تثير شفقة القارئ وتحزّ فيها، كما تظهر أيضًا شفقة قلبه الذي ألمّ به الوجد والجوى، ولذلك جاءت كلماته أكثر وجدانية لأنها تبعث عن عاطفة حساسة وصادقة.

وتعتبر العاطفة في الشعر هي العنصر الثاني الذي يتوقّف عليه الشعر بعد الموسيقى، ولكنها لا تقلّ عنها أهمية لأنها بمثابة الروح في الشعر" [22]، والحقيقة التي ينبغي في البدء أن نشير إليها أنّ القارئ الذي لا يعرف اللغة الشعبية في الجزائر، لا يستطيع في كثير من الأحيان تحديد نوع العواطف الموجودة في النصوص الشعرية الشعبية، فقصائد " أحمد بن التريكي" وإن كانت تبدو لنا في مجملها طافحة بالعاطفة الصادقة، طالما شكّلت لنا صورا شعرية حسناء حملت في ثناياها الكثير من المعاني والرموز السامية النظيفة في جوهرها وأبعادها، ذلك أن الصورة دون عاطفة تعد فارغة الملامح، والعاطفة دون صورة إنما هي عمياء، ولا تستطيع أبدا أن تشق طريقها إلى عالم الخلود، فالشعر تركيب بين الصورة والعاطفة.

وهو الأمر الذي نلمسه عند قراءتنا لأي صورة شعرية من صور بن التريكي، حيث نجد أنفسنا متعاطفين معه، نحترق لاحتراقه، و نحلم لأحلامه و نصطبر و إياه، نروح ونجيء معه، بل أحيانا حينما نجده يائسا بائسا يهجو الحبيبة الغادرة أو يحلم بحبيبة آتية، تروقنا هذه العاطفة و تعجبنا و نراها غير كافية و نعتقد أن كل ما قيل في هذه المرأة غير كاف تماما.

والحقيقة أن دراسة العاطفة في نصوص بن التريكي خاصة تلك التي تحدث فيها عن المرأة يجب أن لا تعزل عن الزمان و المكان الذي قيلت فيه، وكذا نفسية الشاعر وكيف كان مؤشر الصدق والعمق أثناء نظمه لهذه النصوص، حيث نجده أحيانا يغدق علينا بمشاعر موجعة، تبعث في النفس الألم و الأسى، فتتغلغل فينا هذه الأحاسيس لتفجر في داخلنا نحن كقراء، جملة من العواطف المتصدعة، يقول الشاعر في قصيدته "أنا بالله وبالشرع" :

" أنا بالله و بالشرع يا الاحباب معاكم امن طاب جفاكم

لي ردو الوجـــــاب ننظر فيكم بأعياني

مر عليا زمان و أنا تباع رضاكم امن طال جفاكم "[23]

إنه يصف شدّة الوجد و الاشتياق للمحبوبة وعدم قدرته على الابتعاد عنها من فرط الصبابة والهيام فيها، فالشاعر هنا يحضر أداة زمنية ليدعم صدق عاطفته، فكأنه يقول لنا: اشهدوا معي وذوقوا مرارة الوجد الذي دار عليه أعوام و لم تنطفئ جذوته، وفي شطره الثاني لم يحدد لنا المكان وهذا دليل التيه والظلال الذي زاد من صدق قوة عاطفته،لذلك نجده يقول أيضًا:

" هجرتكم طايلة عليا و الصد فناني

شرع الله يا لبنات راني مريض و فاني

الاحباب الجافين عفوا يهديكم لا تعذبوني

من هاذ الصد غير كفوا اغدرتو علاش تودبوني

ندعيكم الله عفوا ينجلي بعد الغيار حزني "[24]

لقد كانت للشاعر في معظم قصائده قدرة كبيرة على التصور جعلته قادرا أيضا على استكناه مشاعره واستجلائها، حتى ظهرت في شكل حلل إبداعية جميلة ورائقة، يقول الشاعر:

" بدموعي شفيت لعدو والخليل ولي ينظر لحالتي يبقى حاير

يا لايم في حبها ما ردت جميل راني هايم فالهوى ما جبت خبر " [25]

إنه يستفز مشاعر الحبيبة ومشاعره، ومن ثمة مشاعرنا نحن وأخيرا مشاعر العدو التي لم تستطع هي الأخرى أن تقف صامدة في وجه هذه العاطفة القوية الصادقة، فقوله: "بدموعي شفيت لعدو والخليل"، هو إيحاء منه على عظمة وقوة هذا الحب الذي قهره حتى أنّ من يراه على هذه الحالة يحتار في أمره، ويعذره كما يقف إلى جانبه.

دوافع الإبداع النفسية عند " أحمد بن التريكي" وخاصة في نصوصه التي يتحدث فيها عن المرأة، إنما هي نابعة من تجربة وجدانية، اتحدّت فيها عناصر الإبداع من حب وولع وشوق وحنين، وقد ساعده في ذلك تأثره ببيئته المحافظة التي كانت تَحظرُ الحب ولقاء الحبيبين، مما فجرَّ في داخله عواطف صارخة قلَّما نجدها في أشعار الشعراء الشعبيين، بل وحتى الشعراء الرسميين، وهو الأمر الذي أكسب قصائد الشاعر "بن التريكي" حلاوة شعرية تشعر بها وأنت تستمع إليها.

4- المستوى الصوتي / جماليات البنى الموسيقية:

عن طريق اللغة عرف الإنسان الشعر وعن طريق الشعر اهتدى إلى الموسيقى، ففيها "يتجلى جوهره الزاخر بالنغم، إنه عبارة عن موسيقى تؤثر فينا بقواها الخفية التي تشبه قوى السحر وينبغي أن نشير ها هنا إلى أن الاهتمام بالموسيقى ليس مقصورا على الشعر وحده بل نجدها أيضا في فنون النثر، لكنها أشد تأثيرا ووقعا في الشعر وفنونه، ذلك أن القصيدة إذا فقدت العنصر النغمي الوزن الشعري تخرج من دائرة الشعر إلى دائرة النثر"[26]

وبالنظر إلى تعريفات النقاد والدارسين حول ماهية وأصول وقواعد الشعر، فإننا نجدها تصب جميعا في ذلك" الكلام الموزون المقفّى الذي يدل على معنى"، فهل جاءت قصائد الشعر الشعبي على هذا النحو؟ وهل حافظت على قواعد وأصول الشعر إذا كان جوهر الشعر عند" ابن خلدون "هو الوزن والقافية وهما الأساسان الثابتان في الشعر العربي؟

الحقيقة أن الاختلاف في قضية تفعيلات وبحور الشعر الشعبي بينٌ وجلي، لكن هناك الكثير من القصائد الشعبية التزمت بنظام وزني معين يعكس وعيهم ونضجهم الفكري، وما يلاحظ أيضا أن الكثير من الشعراء الشعبيين قد اقتربوا من بحور" الخليل الفراهيدي"، فاقترُح لهم جملة من أسماء معينة كالبحر العشاري، وهو الذي يتكون من عشر حركات، وهي:

فَعَلَ فَعَلَ مَفَعِلُ فَعَلَ فَعَلَ مَفَعِلُ

و البحر التساعي الذي يتكون من تسع حركات، و هي:

فَعَلَ فَعَلَ فَعَلَ فَعَلَ فَعَلَ فَعَلَ

كما اقترحت القصيدة ذات الشطرين "المثنوي" التي وجد فيها الشعراء مجالا رحبا للالتزام، وأشير هنا إلى أن الحديث يخص الشكل الرباعي.[27]

إذن و بعد هذه الإيضاحات حول ضبط أوزان الشعر الشعبي، اتضح أيضا أن شاعرنا بن التريكي كان في كل مرة يخترق أوزان وقواعد الخليل، وكلما طبقنا هذه الأوزان على بعض قصائده نراها تحفل بالزحافات والعلل والخروج الدائم عن النص.

يقول الشاعر:

شعلت نيران أكبادي واعييت ما نبكي ما نفعني نواح

بعد التقطيع نجد:

شَعْلَتْ نِيرِان أَكْبَادِيْ وَعَيِيْتْ مَنبْكِيْ مَنْفَعْنِ نْوَاْحْ

00/0 /0/0/ 0/00/ 00/0/ 0/0/0/ 00/0/ 0/0/

و يقول في قصيدة أخري:

يا الأحباب ما لكم عليا غضاب دون اسباب ولا اعملت السبة

بعد التقطيع نجد:

يَلَحْبَاْبْ مَلْكُمْ عْلْلَيَاْ غُضْضَاْبْ دُوْنْ سْبَاْبْ وَلَعْمَلْتْ سْبْبَة

//00/0 0/0/ 0//0 00/0/ /00 00/0/ 00/0 00/

وحينما نقرأ قوله:

من حبك يالي كويتنني شفت لويل ضاع صوابي ضاع لعقل و أتودر

بعد التقطيع نجد:

مَنْ حُبَبَكْ يَلِيْ كْوِتِنِي شُفْتْ لْوِيْلْ

00/0 00/ 0/0/0/0 0// 0/0/ 0/

ضَعْ صْوَبِيْ ضَعْ لَعْقَلْ وْ اَتْوَدَرْ

00//0 0 0/00 0/ 0//0 0/

بقي لنا إذن أن نقول بأن نظام الشعر عند الشاعر الشعبي "أحمد بن التريكي " قد اختلّ واخترقت فيه الأوزان وقام على الاضطراب والفوضى، فجاءت قصائده كما رأيناها متحررة من قواعد اللغة والأوزان، والتي امتلأت بالزحافات، والعلل، والتقاء السواكن، بل وكثرت.

وهو الأمر الذي تُعرف به جلّ القصائد الشعبية، وترفضه القصيدة العربية الرسمية الفصيحة.

وباختلال أوزان مبتكر علم العروض ورائدها " الخليل بن أحمد الفراهيدي" في قصائد أحمد بن التريكي، اختلت معها القافية والبحور، لكنها كانت مليئة بالصور الشعرية الحية والنابضة بالجمال والارتقاء، ولقد كان لصدق العاطفة وبساطة اللغة وسهولة التلاعب بألفاظها، الأثر الكبير في قصائده وإنتاجاته الشعرية التي تعتبر أفقا رحبا للدراسة والتنقيب، وفاتحة بحث في عالم الشعر الشعبي العجيب.

5 – المستوى الدلالي / البنيات الموضوعاتية في الشعر الشعبي الجزائري:

يخضع الشعر الشعبي ـ كغيره من صنوف الشعر ـ إلى ذات المبدع / الشاعر الشعبي، بحيث يتحول النص الشعري الشعبي إلى صورة مماثلة لوعي الشاعر ولرؤيته الإنسانية الخاصة، لذلك فإنَّ مقاربة النصوص الشعرية الشعبية ـ عامة ـ بوصفها نصوص ذات تشكيل فني خاص، تترك للقارئ/ المتلقي حرية تأويل الدلالات ومعرفة تشكلها، وبما أنّنا نخصّ بالدراسة الشاعر الشعبي الجزائري "أحمد بن التريكي" فإننا سنسلط الضوء على مجموعة من قصائده الّتي سنحاول من خلالها، تحليل البنية الدلالية للشعر الشعبي الجزائري، ومن ثمَّة تحديد الموضوعات التي تطرّق إليها الشاعر.

5 – 1 – رؤية العالم بعين الشاعر:

أول ما يمكننا البدء به، هو الإحالة إلى أنَّ الواقع الماثل في النصوص الشعرية الشعبية هو تعبير عن رؤية الشاعر/ المبدع ذاته نحو الحياة والواقع الذي يتعايش وفقه، وبالنظر إلى الطابع المأساوي الذي يكتسي قصائد وأشعار "أحمد بن التريكي" يمكننا القول إنّ واقع الشاعر خرب ومتحجر، فبقدر ما كانت حياته بائسة ومؤلمة، كانت أشعاره كذلك.

ولذلك انعكست سلبية تجربة حياته في دواوينه التي جاءت مليئة بالآهات والتأوهات، فقد أدمت تجربة حبٍ فاشلةٍ قلب هذا الشاعر وجعلت منها صعبة ومستحيلة الاستمرار، وكما هو ملاحظ من خلال المقاطع الشعرية السابقة الذكر، أنّ ثمة محاور دلالية عميقة تربط ما بينها وتصلُ كل قطعة بالتي سبقتها أو حتى التي تلّتها، "بالرغم من اختلاف طرق التشكيل والبناء، إذ تقود الطرق المختلفة و

المتعددة إلى إثراء الدلالة وتوزيعها بعمق" [28] في كثير من نصوص الشعر الشعبي، ومن خلال البوح بمكنوناته عبر ضمير "الأنا" الذي اتكأ عليه الشاعر بشكل جدّ كبير، يمكننا أن نتلّمسّ صدق قصائده وصراحة كاتبها من خلال الأبيات، التي كانت تفيض بشدّة ولعِ ووله العاشق للقيا معشوقته التي ظلت مغيبّة، وربما بقيت كذلك حتى آخر قصيدة كتبها الشاعر "أحمد بن التريكي"، ذلك أنّنا ومن خلال الاستطلاع على ديوانه، لم نعثر على نموذج واحدٍ يعترف فيه الشاعر عن لقاءه لمن يشتاق لقاءها، فقد ظلَّ على تلك الحالة في جلّ قصائده المدونة في الديوان، يناجي طيفًا ويتوسل رؤيته، حتى أضحت نجواه بديلا عن تواصله مع بقية الناس، فانقطع عن كلّ البشر وراح يهيم بحبٍ لا أمل في تحققه أبدًا.

إنَّ هذا العالم / الواقع الميت لذات الشاعر، قد انسحب بملامحه ودلالاته على القصيدة الشعبية التي أجادت بها قريحته، ليس فقط من خلال استبدال الألفاظ العادية بالسوداوية والمأساوية واللجوء تماما نحو قواميس الكآبة والحزن، وإنما من خلال تأثير هذا الحشد الهائل للألفاظ المتناسقة التي تندرج نحو حقل شعري محدد، أو ربما حقلين متقاربين إلى حدٍ ما.

5 – 2 – المعجم الشعري:

إنّ الشاعر مبدع، "ولكل مبدع معجمه الشعري الخاص به الذي يميزّه عن غيره، ويرتبط المعجم ارتباطا وثيقا بتجربة الشاعر وموقفه ورؤيته إلى الحياة، والمعجم اللغوي لأي مبدع هو ابن بيئته، فالبيئة والمجتمع لهما تأثير بالغ وكبير في تحديد المعجم اللغوي الشعري لأي شاعر" [29].

إذ يستعرض لنا الشاعر الشعبي "أحمد بن التريكي" في دواوينه الشعرية مسيرة حافلة بالأحداث التي مرّ بها في حياته، مشخصًا في كل مرة حالته النفسية والشعورية والوجدانية إزاء ما تعرضَّ له، كاشفًا عن حسّه الفياض وعن عمق مشاعره النبيلة، لذلك جاء معجمه الشعري مليئًا بالصور الرقيقة والبهية والتعبيرات الحسنة المتدفقة إلى ما لا نهاية القصيدة؛ إذ يتجاوز الشاعر الأطر الداخلية للقصيدة فيغدو شعره لصيقًا بذهن القارئ / المتلقي، حتى ما بعد انتهاء القصيدة، لاسيّما ما تعلقَّ بغرامه المستحيل وشوقه الدائم الوصل لمحبوبته.

كما تنوع المعجم الشعري لدى الشاعر الشعبي، فحمل في أغلبه مدلولات، ومعاني،ومرادفات للغزل، والوجد، والشوق، والتوسل، والرجاء، كما تصادفنا بعض المصطلحات الصوفية والرموز الدينية، من خلال مناجاته للمولى "سبحانه وتعالى"، ومناداته للرسول "صلى الله عليه وسلم"، أو لأمهات المؤمنين، أو للصحابة "رضوان الله عليهم جميعا"، وكثيرًا ما نجده يذكر أولياء الله الصالحين، وحتى الأماكن المقدّسة والأحبة والأقرباء والأصدقاء، إنَّه يسعى إلى توسيع محيطه النفسي من خلال التذكر وهو ما يعطيه شعورا بقربِ الأحبة له.

فأحسن طريقة يمكنها إيصال المدلول الحقيقي والمغزى المباشر من وراء القصيدة الشعرية، هو وجودها في التركيب اللغوي الصحيح، الذي يسهم في إبراز معناها ويجعلها متباينة عن تلك التي تقاربها أو تجعلها متشابهة لها، "بالإضافة إلى الوظائف الدلالية ذات الارتباط بالمحيط والثقافة الذين يعبران عن دلالة اللفظ المستقلة عن كل كلمات اللغة، فمعنى الكلمات محدد وفق قائمة اللغة بمفردات اللغة ذاتها، وترتبط فيما بينهما بمجموعة من الظواهر المتشابهة والقابلة للمقارنة والاستبدال، ويتحدد المعنى أكثر حين ظهوره في بنية المعجم الذي يمتلكه المتكلم، أو وفق التغيرات التي تطرأ على معاني الكلمات، المرتبط بالحقل المعين "[30].

"فالمعجم هو مجموع الكلمات التي تصنعه لغة ما في متناول المتكلمين، فهو حقيقة اللغة التي يكتسبها الفرد عن طريق معرفة المفردات الخاصة، التي تتوافر على تشكيل الخطاب وبنائه، فالمعجم يتجاوز المفردات ولكن لا يبلغ إلا بها، ولا تكون المفردات إلا بوجود المعجم؛ لأنها تعدُّ عينة منه، وعلى الرغم من أنه يصعب معرفة عدد الكلمات التي تكون معجم اللغة، إلا أن عددها محدد نسبيا في اللغة المعينة وهو قابل للإثراء والازدياد وحتى إلى الافتقار في كثير من الأحيان "[31].

من هنا، تجدر الإشارة إلى أنَّ التجربة الفنية للشاعر الشعبي الجزائري "أحمد بن التريكي" ، فرضت عليه معجما شعريا خاصا، حاول بواسطته تشخيص حالته النفسية والشعورية والوجدانية، لشدّ المتلقي لموضوعات قصائده ودواوينه الشعرية، وذلك بزرعه لأهم ما يمكنه لفت انتباه القارئ / المتلقي نحو الخطاب الشعري الشعبي، ألا وهو المثيرات اللغوية والفنية وحتى الأسلوبية، والتي من شأنها تعميق التجربة الشعرية لدى الشاعر، فهو ينتهج في شعره طابعا وصفيا لحالته الداخلية، وما يشعر به من شوق وحنين ووله وولع للمحبوب، رغم ما لهذا المحبوب من عيوب يسعى الشاعر العاشق إلى ذكرها في كل مرة، كما أنّه لا يتفانى في تجميلها بين الفينة والأخرى، وهذا ما يميزُّ عالم الشعر الشعبي ،إنّه عالم الذوات الإنسانية الرحب، ومساحة مخصصة للبوح، تتمازج في داخلها كل الاتجاهات والاختلافات والتوجهات والمذاهب، فالشاعر "أحمد بن التريكي" حاول ـ على غرار بقية الشعراء الشعبيين ـ أن يسير وفق هذا الخط الشعري والمنهج الفني، معتمدًا على بعض الحقول الدلالية التي تضمُّ بين أطرافها كل المستويات الدلالية لشعره، كما أنّها تجسد كل الموضوعات التي سعى الشاعر إلى تناولها، وانطلاقا من هذا التصور المنهجي يلزم علينا دراسة وتحليل الحقول الدلالية للتعمق في فهم خبايا وأسرار مدلولات لغته الشعرية الشعبية، وبالتالي فهم كنهها واستخلاص لبّ الموضوعات التي أراد الشاعر "بن التريكي " الخوض فيها.

5- 3 - الحقول الدلالية:

تعدّ نظريات الحقول الدلالية من أكثر نظريات البحث اللغوي، التي حظيت بالاهتمام من قبل الباحثين والدارسين اللغويين، إذ تهدف هذه النظرية إلى "تنظيم الدلالات اللغوية وبنائها "[32].

وتقوم هذه النظرية على ما يطلق عليه عند اللغويين، بالحقل الدلالي أو الحقل المعجمي"[33]،

يعرفه جورج مونان (Gorge Mounin) بأنه: "مجموعة من الوحدات المعجمية التي تشتمل على مفاهيم تندرج تحت مفهوم عام يحدد الحقل"[34]، أي أنه مجموعة من الكلمات التي ترتبط دلالتها وتوضع تحت لفظ عام يجمعها، مثل الكلمات الدالة على الألوان أو الأرقام أو الأشكال في اللغة العربية يمكنها أن تقع تحت مصطلح واحد وعام يحددها كأن نقول عن كل الألوان كلمة "لون"، أو عن كل الأشكال كلما "شكل"، "وهو قطاع متكامل من الناحية اللغوية يعبر عن مجال معين "[35].

ويعتبر البحث في الحقول الدلالية في الشعر الشعبي من البحوث التي لم تتبلور فيها نظرية جامعة بعد، رغم الجهود المبذولة من طرف الدارسين للشعر الشعبي واللغويين؛ كما تعددت الاتجاهات من دارس وباحث إلى آخر، وذلك نظرا لخضوع الحقول الدلالية لمفهوم وذاتية الباحث"[36].

وقد وجدوا أنَّ حجم الحقول يختلف من مجال إلى آخر، وأنَّ أكبر مجال في أي لغة، هو المجال الذي يحوي الكائنات والموجودات والأشياء، وتليه الحقول التي تحوي أقل من ذلك كمجالات الأحداث، وأقل منه المجردات، وأقلهم جميعا مجال العلاقات"[37].

ومن أبرز الحقول الدلالية التي استعان بها الشاعر الشعبي الجزائري "أحمد بن التريكي" في تأليفه ديوانه الشعري الشعبي، نجد: حقل الموجودات؛ حقل الأحداث؛ حقل المجردات.

5 . 3 . 1 . حقل الموجودات:

ويضم "كل ما يتعلق بالإنسان والكائنات الحية والطبيعة والمراكب"[38]، وهو الغالب على ألمعجم الشعري في كل الأشعار سواء الشعبية أم الفصيحة، ونجدّ في ديوان الشاعر "احمد بن التريكي" العديد من الألفاظ التي تندرج ضمن هذا الحقل، كأعضاء الإنسان وأسماء الشخصيات وما يشير إلى الطبيعة والكون، كالليل والنهار والشمس والقمر وما إلى ذلك.

كما نجد حقل الكائنات الحية التي تضم الحيوان والنبات ولكل منها قسمًا خاًصا بها، فهناك ما تشير في إيرادها إلى الضعف والهزل ومنها ما تشير إلى القوة والصلابة والمتانة، ومنها أيضا ما تشير إلى الوفاء والجمال والاستقامة ومنها ما تعكس هذه الألفاظ فيوحي بها الشاعر إلى معاني مغايرة تماما مثل الوحشية والهمجية، ولعلّ تصنيف هذه المفردات التي تمّ استخراجها من الديوان الشعري لأحمد بن التريكي في جدول يضم حقول الموجودات، يوضح ذلك أكثر:

حقل الإنسان	حقل الشخصيات	حقل الطبيعة	حقل الكائنات الحية
الراس/اليد/العين/الوجه البدن/القلب/الرقبة الشعر/الدم/الأذن/الفم الشوارب/الرجل/الحاجب الصدر/العقل/الكتاف الجبين/زندها/الخد الدمعة	الرسول محمد"صلى الله عليه وسلم"/أبوبكر الصديق/الفاروق عمر/علي كرّم الله وجهه/فاطمة ابنة الرسول عائشة زوجة الرسول/ الشيخ المنداسي	النهار/الليل/النور الضوء/الظلمة/السماء الشمس/القمر/النجوم التراب/المطر/الطين/الحجرة الجبل/الصيف/الربيع/الخريف الشتاء/العام /الشهر/اليوم الدقيقة/الساعة/القرن البحر/اليم	الشجر/الورد/الزهور النحل/الزرع/الداب الغزال/الحمامة/الحجلة القمري/الغراب/الذيب السرح/الجمل/البعير/النا قة النوار/الحصاد/العشب الخيل/الحصان/المهرة/الريم

نلاحظ من خلال حقل الموجودات أنّ الشاعر اعتمد على مجموعة من المعاجم المختلفة، منها معجم الإنسان، والحيوان، والنبات، والجماد، والطبيعة وما إلى ذلك، وهذا يدلّ على أنَّ شعره متعلق بقضايا تخصُّ حياته وحياة الإنسان بصفة عامة، فهي

ليست موجهة لأمثاله من البشر وإنما موجهة لجموع غفيرة من الناس، والتي من دون شك تتلاقى حيواتها وتجربة حياة الشاعر في كثير من النقاط.

5 . 3 . 2 . حقل الأحداث:

ويضم هذا الحقل الأحداث التي مرّت بها تجربة الشاعر الحياتية، والتي جسدّها في ديوانه الشعري، كالسعادة العابرة التي غمرته في بعض المرات النادرة، وكثير من الحزن والتعاسة والكآبة التي بثّها الشاعر في قصائده، وسنعمد لذكرها في جدول تفصيلي ضممنا فيه بعض النماذج الموردة:

الحقل الديني	حقل الفرح	حقل الحزن
القران/النبي/الشهادة الصلاة/الرسول محمد/لفظ الجلالة الله/باسم الله/الحمد لله/الله اكبر/الشفاعة يوم الحساب/ مكة/ المقام/ الجامع / الحج الشريعة/الصلاة على الرسول/الصيام/رمضان الإسلام/الدين العشرة المبشرين بالجنة	لقاءالحبيب/الحلم/رؤية الحبيب/الفرحة/سعيد المنام/الصحة/اللّمة الشمل/العودة/الوطن القوة/الفراسة الانطلاق في الحياة الرغبة	الموت/الرحيل/الفراق الهم/المرض/الحرقة الحزن/الألم/الوجع الفقد/النار/الظلم النكران/الغياب/الغربة/الهجر الجفاء/البرد/الحرمان الفاجعة/النكبة/الغيظ الحيرة/المرض/المعاناة/الفراق

فحقل الأحداث إذن، هو "حقل يضم مجموعة من النشاطات الانفعالية كالحزن والفرح والتي قد تصيب أي إنسان، بالإضافة إلى النشاط الفكري كالإدراك والتفكير وكذا الإحساس"[39].

فعلى قدر ما كان توجه الشاعر غزلي في شعره، إلا أننا نلمس توجهه الديني الإسلامي، وهذا يدل على صلته الوثيقة بالله عزّ وجل وبحبه للقاء رسوله محمد "عليه أفضل الصلاة وأطيب السلام"، وهي سمّة بارزة في الشعر الشعبي الجزائري عمومًا والشعر الشعبي الديني على الأخص.

5 . 3 . 3 . حقل المجردات:

وهذا الحقل يضم الألفاظ التي تدلّ على الوقت وما يتصل به من أفعال، وأنشطة، وتجارب، وهو الغالب في الديوان الشعري لأنه يضم المصادر والأفعال والكلمات المجرّدة، ومنها نجدّ:

حقل المجردات
الحب / الغرام / الشوق / الهيام /الخيال /النوم /يعجبني / نتوحش /مصبرتش /مقدرت / أنتي /التبسيمة النظرة /الحبيبة /العدو /الناس /الحياة /السهر /مضرور / الحرة /الذهب /الفضة /المعدن

وما إلى ذلك من ألفاظ مرادفة تنطوي كلها ضمن حقل المجردات.

بالإضافة إلى ما سبق ذكره من حقول دلالية، يمكننا ذكر حقل العلاقات الدلالية، والذي يشمل الأمكنة والأزمنة والحروف والظروف على مختلف وظائفها، كحروف العطف، والربط، والوصل، والجر، والنصب، والجزم، وما إلى ذلك.. أو كظروف الزمان والمكان.

هذه إذن معظم الحقول الدلالية التي تشكل وتكون القصيدة الشعرية الشعبية، والتي من خلالها تأتي هده القصيدة متناسقة ومتزنة من خلال لهجة الشاعر الشعبي، الذي راح يترجم لنا مشاعره وأحاسيسه وانفعالاته، في قوالب فنية راقية ورائعة.

6 ـ خاتمة:

بعد هذه الدراسة التطبيقية في أشعار الشاعر الشعبي الجزائري "أحمد بن التريكي"، أرجو أنني قد توصلت إلى الكشف عن جماليات البنى الأسلوبية في شعره، والذي يعدُّ نموذجًا من نماذج الشعر الشعبي الجزائري، وقد أسفر البحث عن بعض النتائج المهمة المتعلقة بلغة وموسيقى وبلاغة ودلالة الشعر الشعبي الجزائري، لعلّ أهمها ما يلي:

- إنَّ لغة الشعر الشعبي الجزائري وتحديدا لغة الشاعر "احمد بن التريكي" هي لغة خاصة، ليست بالفصيحة ولا هي بالعامية.
- تعددت الصور الشعرية في أشعار" أحمد بن التريكي" ومن أهمها صورة المرأة التي اكتمل بناؤها بعاطفة وخيال الشاعر اللذين كانا أساس بناء الصورة بنصوصه الشعرية، كما اتضح لي أنّ هذه الصور هي محدودة إذا ما قورنت مع تلك التي تزخر بها القصيدة العربية الرسمية أو الفصيحة، وقد اعتمدت في أغلبها على الأساليب البلاغية القديمة، كالتشبيه والاستعارة والكناية، إضافة إلى بعض المحسنات البديعية، من تقابل، وتضاد، ورموز جاء توظيفها في مفردات معينة.
- أما الوزن، فلقد خلصت واعتمادًا على تقطيعات تمت على بعض الأبيات، إلى أن أشعار "أحمد بن التريكي" والتي لا تختلف البتة عن أشعار الشعر الشعبي العربي عامة والجزائري خاصة، لا تخضع إلى بحور الخليل، وإن وجدت بعض القصائد التي تعود إلى هذا البحر أو ذلك، فقد وجدت أخرى لا صلة لها بهذه الأوزان والبحور.
- يؤدي تصنيف الحقول الدلالية ودراسة المعجم الشعري إلى فهم البنية الدلالية وتوضيح الموضوعات التي يسعى الشاعر إلى تناولها، وبالتالي فإنّ الدراسة الأسلوبية تعتمد على دراسة المستوى الدلالي الذي يعدُّ من أهم مقومات المنهج الأسلوبي التحليلي.
- تمكنَّ الشاعر "أحمد بن التريكي" من نقل تجربته الفنية بطريقة تجعلها تبدو صادقة، وهو ما يشدُّ انتباه القارئ / المتلقي لها ويحببه فيه.

- التحليل الأسلوبي للشعر الشعبي، له أهمية كبيرة في توضيحه وتبسيطه للقارئ / المتلقي الذي قد تتعسر عليه بعض الألفاظ والمعاني، لاختلاف الأزمة وتباعدها، وحتى لاختلاف البيئات واللهجات وتنوعها وتعددها، ليس فقط في الوطن العربي بل في الوطن الواحد نفسه، كما هو الحال بالنسبة للجزائر القارة.
- تتجلى قيمة الشعر الشعبي الجزائري في أصالة بيئته وعراقتها، وقد ظهرت هذه الأصالة في أشعار الشاعر الشعبي "أحمد بن التريكي".

ولعلني في هذا البحث الذي خلصت من خلاله إلى أنّ عالم الشعر الشعبي عالم أخاذ ورحب، وفيه تتجلى كل القيم والصور الفنية، فإنّي أرى بأن شعر "أحمد بن التريكي" هو الآخر امتداد إلى هذا التجلي، وذاك الانصهار بين الماضي والحاضر، والبدء والانتهاء، فتراه يفيض بالسحر والبهاء والصدق والصفاء، لأنه نابع من وجدان الشعب وأحاسيسهم.

الهوامش:

1- ديوان أحمد بن التريكي: تحقيق وجمع عبد الحق زريوح، دار ابن خلدون للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، د ت، ص: 7/.8

2- ينظر الديوان، ص: 8 .

3- ينظر الديوان، ص: 11 .

4 - ينظر مقدمة الديوان.

5 - أحمد أمين: الديوان المغرب في أقوال عرب إفريقية والمغرب، موفم للنشر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1995م، ص: 391

6 - شوقي ضيف: في النقد الأدبي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط5، 1999م، ص: 113

7 - ينظر الديوان، ص: 75

8 - ينظر الديوان، ص: 98

9 - ينظر الديوان، ص: 123

10 - ينظر الديوان، ص : 45

11 - ينظر الديوان: ص: 144

12 - ينظر الديوان، ص: 91/90

13 - ينظر الديوان، ص: 93

14 - راشد بن حمد بن هاشم الحسيني: البنى الأسلوبية في النص الشعري/ دراسة تطبيقية، دار الحكمة، لندن، ط1، 2004م، ص : .125

15 - عبد الإله الصائغ: الصورة الفنية (مسارا نقديا)، دار الشؤون الثقافية، بغداد، العراق، ط1، 1987م، ص: .17

16 - ينظر الديوان، ص: 189.

17 – ينظر الديوان، ص: 114

18 – السعيد الورقي: لغة الشعر العربي الحديث / مقوماتها الفنية وطاقاتها الإبداعية، دار النهضة العربية، بيروت، ط3، 1984م، ص: 190.

19 – خالدة سعيد: حركية الإبداع، دار العودة، بيروت، ط1، 1979م، ص:12

20 – ينظر الديوان، ص: 37

21 – عبد القادر جليل: هندسة المقاطع الصوتية وموسيقى الشعر العربي، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1998م، ص: 65

22 – ينظر الديوان، ص : 49

23 – ينظر الديوان، ص : 116

24 – ينظر الديوان، ص: 83

25 – ينظر الديوان، ص: 92

26 – كمال أبو ديب: في البنية الإيقاعية في الشعر العربي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط2، 1981م، ص: 151/ 152 .

27 – جمال الدين خياري: الشعر الشعبي في الجزائر وعلاقته بالموشحات والأزجال، مجلة الثقافة تصدر عن وزارة الثقافة، الجزائر، السنة السابعة، العدد 37، صفر/ربيع الأول 1397هـ الموافق لـ فبراير/ مارس 1977م، ص: 83/.84

28 – زياد فايز المصري: البنية الدلالية في الشعر العربي المعاصر / انكسار الروح وتفتت الوعي نموذجا، مجلة جامعة الأقصى (سلسلة العلوم الإنسانية)، المجلد السابع عشر، العدد الثاني، يونيو 2013م، ص: 174.

29 – راشد الحسيني: البنى الأسلوبية في النص الشعري العربي، دار الحكمة، لندن، ط1، 2004م، ص: 111 / 112.

30 – أحمد عزوز: أصول تراثية في نظرية الحقول الدلالية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 2002م، ص: 08.

31 – المرجع نفسه، ص: 09.

32 – خولة طالب الإبراهيمي: مبتدئ في اللسانيات الحديثة، الدار الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2000م، ط 2، ص: 123.

33 – رجب عبد الجواد إبراهيم: دراسات في الدلالة والمعجم، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2001م، د ط، ص: 25.

34 – رومان جاكبسون: قضايا الشعرية، ترجمة: محمد الوالي ومبارك حنون، دار توبقال للنشر والتوزيع، الرباط، المغرب، 1988م، ط 1 ، ص: 79.

35 – رجب عبد الجواد إبراهيم: دراسات في الدلالة والمعجم، ص: 26.

36 – نور الهدى لوشين: مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، المكتب الجامعي الأزريطة، الإسكندرية، مصر، د ط، د ت ، ص: 372.

37 – أحمد مختار عمر: علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، مصر، 1998م، ط 5، ص: 96.

38 - المرجع السابق، ص: .95

39 - أحمد محمد قدور: مبادئ في اللسانيات، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، 2004م، ط 2 ، ص: 305.